هل يخلد الانسان في الدنيا

ما هي الحياة وما هو الموت وهل قُدِّر الموت على كل حي

كل حبة حنطة جسم حي وقد كانت في سنبلة والسنبلة نبتت من حبة اخرى وهذه من سنبلة وهلمَّ جرًّا بالتسلسل. ويسهل استقصاء تاريخ القمح الى ستة آلاف سنة او اكثر فقد وجدت حبوبهُ بين الآثار المصرية والاشورية القديمة دلالة على ان المصريين والاشوريين الاقدمين كانوا يزرعونهُ ويستغلونهُ ويصنعون خبزهم من دقيقهِ. والقمح الموجود الآن لم يخلق من لا شيء بل هو متسلسل من ذلك القمح القديم فهو جزء حي من جزء حي من جزء حي وهلمَّ جرًّا الى ستة آلاف سنة او سبعة بل الى مئات الالوف من السنين. وحبوب القمح التي نراها ناشفة لا تتحرك ولا تنمو هي في الحقيقة حية مثل كل حي ولا ينقصها لظهور دلائل الحياة الاَّ قليل من الماء فحياة القمح متصلة منذ الوف من السنين الى الآن. وهذا الحكم يطلق على كل انواع النبات ذوات البزور وذوات الاثمار

وما الحيوان بخارج عن هذه القاعدة فان كل واحد من الحشرات والاسماك والطيور والوحوش والدبابات حتى الانسان سيد المخلوقات كان جزءًا صغيراً من والديهِ فنما كما نما وصار مثلهما وهما من والديهما وهلم جرًّا. والانسان الذي يخلف نسلاً يكون نسلهُ جزءًا حيًّا منهُ كما ان البزرة جزء حي من الشجرة. وهذا الجزء الحي تكون فيهِ جراثيم صغيرة جدًّا مثل الجراثيم التي كونت اعضاء والديهِ فتكوِّن اعضاءهُ بالغذاء الذي تتناولهُ وتمثلهُ. فتصير نواة التمرة نخلة ذات جذع وسعوف وعذوق وتمر. وبزرة الزيتون شجرة ذات ساق واغصان وورق وثمر. وقس على ذلك سائر انواع النبات وكذا بيوض الحشرات والاسماك والطيور والوحوش والدبابات حتى الانسان

وهذا كلهُ من الامور المعروفة التي لا يختلف فيها اثنان ولكن الشجرة نفسها قد تعمر الف سنة او الفي سنة والانسان لا يعمر اكثر من سبعين او ثمانين سنة وفي النادر النادر يبلغ مائة سنة. فالجراثيم المعدَّة لاخلاف النسل تبقى حية وتنمو كما تقدم ولكن سائر اجزاء الجسم يموت كأن الموت مقدور عليهِ. وقد مرَّت

القرون والناس يحاولون التخلص من الموت او اطالة الاجل ولاسيما في هذا العصر عصر مقاومة الامراض والآفات بالدواء والوقاية ولم يثبت على التحقيق ان احداً عاش فيهِ ١٢٠ سنة مثلاً

لكن العلماء الموثوق بعلمهم يقولون ان كل الانسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء الى ما لانهاية لهُ. وانهُ في الامكان ان يبقى الانسان حياً الوفا من السنين اذا لم تعرض عليهِ عوارض تصرم حبل حياتهِ . وقولهم هذا ليس مجرد ظن بل هو نتيجة علمية مؤيدة بالامتحان

فقد تمكن احد الجراحين من قطع جزء من جسم حيوان وابقائهِ حياً اكثر من السنين التي يحياها ذلك الحيوان عادة . اي صارت حياة ذلك الجزء مرتبطة بالغذاء الذي يُقدم لها لا بعدد السنين التي يحياها الحيوان فصار في الامكان ان تعيش الى الابد ما دام الغذاء اللازم موفوراً لهُ

وهذا الجراح هو الدكتور الكسس كارل Carrel من المشتغلين في معهد ركفلر بنيويورك وقد امتحن ذلك في قطعة من قلب جنين الدجاج فبقيت تلك القطعة حية نامية اكثر من ثماني سنوات. وهو وغيرهُ امتحنا قطعاً من اعضاء جسم الانسان من اعصابهِ وعضلاتهِ وقلبهِ وجلدهِ وكليتيهِ فكانت تبقى حية نامية ما دام الغذاء اللازم موفوراً لها حتى قال الاستاذ رتند برل من اساتذة جامعة جونس هبكنس « ان كل الاجزاء الحلوية الرئيسية من جسم الانسان قد ثبت اما ان خلودها بالقوة صار امراً مثبتاً بالامتحان او مرجحاً ترجيحاً تاماً لطول ماعاشتهُ حتى الآن ». وهذا القول غاية في الصراحة والاهمية على ما فيهِ من التحرس العلمي

والظاهر ان اول من امتحن ذلك في اجزاء من جسم الحيوان هو الدكتور جاك لوب Loeb وهو من المشتغلين في معهد ركفلر اينما فانهُ كان يمتحن توليد الضفادع من بيضها اذا كان غير ملقح فرأى ان بعض البيض يعيش زماناً طويلاً وبعضها يموت سريعاً فقادهُ ذلك الى امتحان اجزاء من جسم الضفدع فتمكن من ابقاء هذه الاجزاء حية زماناً طويلاً

ثم اثبت الدكتور ورذلويس وزوجتهُ انهُ يمكن وضع اجزاء خلوية من جسم جنين الطائر في سائل ملحي فتبقى حية فيهِ واذا اضيف اليهِ قليل من بعض المواد الآتية جعلت تلك الاجزاء تنمو وتتكاثر

وتوالت التجارب فظهر ان الاجزاء الحلوية من اي حيوان كان يمكن ان تعيش وتنمو في سائل فيهِ ما يغذيها ولكن لم يثبت حينئذٍ ما ينفي موتها اذا شاخت فقام الدكتور كارل وجرّب التجارب المشار اليها آنفاً فثبت منها ان هذه الاجزاء لا تشيخ كما يشيخ الحيوان الذي أُخذت منهُ بل تعيش اكثر مما يعيش هو عادة. وقد شرع في التجارب المذكورة في شهر يناير سنة ١٩١٢ ولقي عقبات كثيرة في سبيلهِ فتغلب عليها هو ومساعدوهُ وثبت لهُ اولاً ان هذه الاجزاء الحلوية تبقى حية ما لم يعرض لها عارض يميتها اما من قلة الغذاء او من دخول بعض المكروبات. وثانياً انها لا تكتفي بالبقاء حية بل تنمو خلاياها وتتكاثر كما كانت باقية في جسم الحيوان. ثالثاً انهُ يمكن قياس نموها وتكاثرها ومعرفة اوقاتها بالغذاء الذي يقدم لها ورابعاً ان لا تأثير للزمن فيها اي انها لا تشيخ وتضعف بمرور الزمن بل لا يبدو عليها اقل اثر للشيخوخة بل تنمو وتتكاثر هذه السنة كما كانت تنمو وتتكاثر في السنة الماضية وما قبلها من السنين. وتدلُّ الظواهر كلها على انها ستبقى حية نامية ما دام الباحثون صابرين على مراقبتها وتقديم الغذاء الكافي لها فشيخوخة الاحياء ليست سبباً بل هي نتيجة

ولكن لماذا يموت الانسان ولماذا نرى سنيهُ محدودة لا تتجاوز المائة الاَّ نادراً جدًّا وغايتها العادية سبعون او ثمانون. والجواب ان اعضاء جسم الحيوان كثيرة مختلفة وهي مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً محكماً حتى ان حياة بعضها تتوقف على حياة البعض الآخر. فاذا ضعف بعضها ومات لسبب من الاسباب مات بموتهِ سائر الاعضاء. فاهيك بفتك الامراض المكروبية المختلفة وهذا مما يجعل متوسط العمر اقل جدًّا من السبعين والثمانين لاسيما وان كثيرين يموتون اطفالاً. وغاية ما ثبت الآن من التجارب المذكورة ان الانسان لا يموت لانهُ عمّر كذا من السنين سبعين او ثمانين او مائة او اكثر بل لان العوارض تنتاب بعض اعضائهِ فتتلفها ولارتباط اعضائهِ بعضها ببعض تموت كلها. فاذا استطاع العلم ان يزيل هذه العوارض او يمنع فعلها لم يبق مانع يمنع استمرار الحياة مئات من السنين كما يحيا بعض انواع الاشجار. وقلما ينتظر ان تبلغ العلوم الطبية والوسائل الصحية هذه الغاية القصوى ولكن لا يبعد ان تدانيها فيتضاعف متوسط العمر او يزيد ضعفين او ثلاثة